مقدمة

إن الصور المتحركة باعتبارها أحد أشكال الفن مجهولة النسب. لم يكن ظهورها نتيجة للشعور بالرغبة الشديدة في التعبير والتحقيق، وهو ما توج ميلاد الفنون التصويرية الأخرى. فلم تخترع السينما لتسهيل تحقيق هذه الرغبة، ولم يشعر فنان بأنه مضطر إلى اختراعها ليوصل للناس ما يشعر به من جمال في نفسه. لقد أوجدها العلم قبل أوانها، ودفعتها الانتهازية إلى العمل قبل أن تشب ويستقيم عودها.

وكانت، برغم ارتباكها وتعثرها، مخلوقًات صغيرًا مغريًا. ودفع لها كل شخص من جيبه قرشًا، وسرعان ما أخذت الانتهازية تثرى من ورائها، مما جعلها تؤمن بأن نجاح هذا الكائن الصغير من تدبيرها هي.

وعندما بدأ الطفل ينطق كلماته الأولى لم تسمح الانتهازية بتعليمه. فقالت له:

"تكلم كما أفعل أيها الصغير، وأذهب حيث تشاء، وإذا قابلك أحد باحتقار فلا تتردد في أن تذكر له ضخامة المبالغ التي أنفقتها عليك". فكان طبيعيًا أن ينمو الطفل ولا يشعر، بل لا يكترث إلا لنفسه، ولكن نفسه، برغم ذلك، كانت تنطوي على عزة خفية وإباء وطيد، لم تستطع الانتهازية بغبائها أن تقضي عليه.

وبدأ إباء الطفل يظهر ملموسًا حين وصل إلى الاستديو السينمائي أول فنان،÷ ليمارس حقه في المساهمة في توجيه نمو الطفل. وبدأ الانتهازية بنظرة ثاقبة تلمس فائدة مجسدة في شكل أرباح من المساهم التي يقدمها القادم الجديد. وبدأت، برغم ما وجدته من إحراج لغرورها، تستخدم عددًا متزايدًا من الفنانين ليشتغل مع الحرفيين والفنيين الذين استلزم العلم وجودهم منذ البداية.

وبدأ الطفل يمشي ويتكلم و:انه إنسان متحضر واستطاع في بعض الأحيان أن يقول شيئًا خلابًا يستأهل أن يحفظ في الذاكرة.

واليوم يوجد آلاف من الرجال والنساء الذي يشعرون بالمسئولة الملقاة عليهم، يكرسون حياتهم لكي يجعلوا للسينما مبررًا غير الكسب المادي. وإن كان ما يزال بين الذي يشرفون على الاستديوهات السينمائية من يمكن اعتبارهم نماذج للماديين الأفظاظ، الذي يخافون من الأفلام الفاضحة، كما يخاف كبار المستعمرين من التنوير السياسي. ولكن القوانين الطبيعية التي قضت بأن يتلاشى حيوان الدينصور من الوجود تعمل على إبعاد هؤلاء الأفظاظ لتحل محلهم سلطة أخرى تتميز بالذكاء والفطنة.

وهكذا بدأت السينما بخطوات بطيئة لكنها ثابتة. تأخذ مكانها المشرف بين الفنون الأخرى. فإذا تأخر الاعتراف بها كفن، فإن ذلك يرجع إلى تعقد وسيلتها في التعبير فالكتابة للمسرحة تعتبر سهلة إذا قورنت بالكتابة للسينما، حقيقة إن الكاتب المسرحي يجب أن تتوفر فيه الصنعة ولكن بمجرد أن ينهي مسرحيته سهل توصيلها للجمهور عن طريق الممثلين الأحياء. أما الكاتب السينمائي فهو ملزم بأن يفكر ويكتب بطريقة الكاميرا.

فالمسرح بشكل عام يعتمد ٩٠% من مراحله على الإنسان. أما المناظر والإضاءة والعناصر الآلية الأخرى فإنها ثانوية يمكن الاستغناء عنها نوعًا.

أما بالنسبة للسينما فالعكس هو الصحيح. ومن هنا تأخر ظهور الكاتب كسلطة موجهة في كتابة الفيلم. وكلما ازداد فهمنا لإمكانيات الكاميرا وحدودها زادت سيطرة الكاتب. ولقد لمسنا زيادة في عدد الكتاب الذين يشتغلون مخرجين ومنتجين سينمائيين. واتضح أنه كلما قل عدد الطباخين المهرة حسن نتيجة ما يقدمونه. إن ما يستطيع الكاتب أن يحققه بالفرص المتاحة له يتوقف بالطبع على مواهبه ونشاطه الذي يستخدمه في هذه الوسيلة الفنية التي لا تحدها حدود. ولا ننسى أن تعقد الأجهزة التي توجد في الاستديو مضافًا إلى القوانين الطبيعية التي تسيطر ظهور العباقرة تصعب إنتاج أفلام من التي يمكن اعتبارها من الروائع.

وقد تعلم الكاتب السينمائي الماهر من التجربة، أن قوانين السينما أساسية في كتابة أي فيلم مستساغ ويجب أن يكون المؤلف السينمائي ملما باللغة السينمائية.

وهذا الكتاب هو أول كتاب باللغة العربية يبحث هذا الموضوع بدقة،